



المصالحة الوطنية الأولى في السودان... إنتكسوها أم انتكست؟

الكتاب الأول من سلسلة "حلو، مر السودان"
تاريخ ما لن يهمله التاريخ
عن السودانيين العسكر والأحزاب

رواية نميري عن المصالحة والمتصالحين معه

هكذا التقينا أنا والصادق وهكذا لم نتعايش... وافترقنا • كانت المصالحة الوطنية ثمرة جهود شخصين هما جعفر نميري والصادق المهدي • من حسن الحظ أن الصادق المهدي كان الأول في الجبهة الوطنية لأن مبادرة المصالحة كانت ستبدو صعبة الحدوث مع غيره • كان لا بد من شخص يتصرف بأمانة خلال الاتصالات وموضع احترام الطرفين ووجدت في فتح الرحمن البشير أنه الشخص المؤهل • في فترة التراسل مع الصادق المهدي قبل تكليف فتح الرحمن البشير حاول الناقلون من النظام ومن جماعة الصادق إجهاض الهدف النبيل • اعتمدنا في المراسلات أسلوب الإكثار من التحيات والتمنيات وفي كل رسالة نُشير إلى نقطة أو اثنتين لتفادي الحذر • عندما اتفقنا على مبدأ اللقاء راح الصادق يختار أمكنة خارج السودان ناسياً أنني رئيس دولة ولكنني قررت أن يتم اللقاء داخل السودان... وأعطيته الأمان • هكذا تم سفري إلى بورتسودان من دون أن يعرف القريبون مني الغرض من الزيارة المفاجئة • قبل اللقاء عقدت اجتماعاً أمنياً لتأمين حماية الصادق وكيف يتم استقباله وإحضاره • في اللقاء الأول أزلنا الآثار النفسية العالقة وبعدها أكلنا معاً من طعام واحد ونمنا في غرفتين متجاورتين واستكملنا الحديث في غرفة الصادق بعدما توضأ وصلّى • مجيء الصادق إلى بورتسودان على رغم أنه محكوم بالإعدام معناه أنه شجاع • قال لي الصادق إنه من غير الممكن أن يكون هنالك قائد قوي للسودان غيري وأنا قلت له بأنني لا أطلع إلى الاستمرار في الحكم مدى الحياة • شكاً لي الصادق من جماعته في لندن وروى لي كيف قال له الشريف حسين الهندي لا تأمن لنميري ولا تغامر في الذهاب إلى بورتسودان • قلت للصادق إن الدستور يُجيز لي العفو عن معتقلين فقال أمام جماعته إنه اتفق معي على تعديل الدستور • في محاولة لإضفاء أهمية عليه نشرنا في الصحف أنه سينقل رسائل مني إلى الخميني والقرطبي وأنه مبعوث من رئيس السودان فأدلى بتصريح يقول فيه إنه ليس مبعوثاً ولا يحمل رسائل • أوفد الشريف التهامي لترتيب لقاء ثنائي معي فقلت للتهامي إن الصادق لا يلتزم بما اتفقنا عليه ولذا أفصل أن يكون اللقاء موسعاً وتم اللقاء بحضور عبد الماجد خليل وعمر الطيّب • ... وكان اللقاء للبحث في موضوع دائرة المهدي وولي الدين الذي اصطاده الهندي وموضوع إمامة الأنصار • دائماً كان الصادق يشكو من حلقة صغيرة تُحيط به وفي الوقت نفسه يؤكد كلما تعرّض لهجوم من الهندي والشيوعيين أن المصالحة أمر لا عودة عنه • حاولت إقناعه بأن هويته القديمة لا تعود بالنفع عليه وضربت له مثلاً على ذلك محاولة أبناء وأقارب هيلاسيلاسي وفشلهم في مواجهة الثورة الاشتراكية • في بدايات المصالحة طلب الصادق العفو عن الشيوعيين وكتب أسماء 11 شخصاً بينهم محمد إبراهيم نقد • كيف بدأ الصادق يتملص من عضوية المكتب السياسي واستمر حسين الهندي يشكّل هاجساً له • بسبب إلحاح الصادق أوفدت من يمثلني إلى لندن لعقد اتفاق مع حسين الهندي فأرتاح الصادق وأقسم اليمين عن مسايرة وليس عن اقتناع ثم فاجأني بتقديم الاستقالة وأبلغني بالسفر إلى ليبيا • اتفقنا على أن يبقى موضوع الاستقالة سرّاً لكنه بدأ يشيع أنه استقال وبعث برسالة وقلت له متى ستتوقف عن أسلوب وضعي في المواقف المُحرّجة • لكي يشعروا أنهم ما زالوا مرغوبين من الشعب طلبتُ إلاّ يترشح أحد في دوائر معيّنة لكي يفوز مرشحوا الصادق • بدأ الصادق يضعف أمام كثيرين لا مصلحة لهم في نجاح المصالحة وكانوا يقولون له كيف تنسى مجد جدك وتقبل أن يعيّنك نميري في المكتب السياسي • قلت للصادق إن كثيرين قالوا لي إن مشكلة الصادق تنتهي بتعيينه نائباً للرئيس أو رئيساً للوزراء وكان ردي عليهم إنكم من يريد ذلك وليس هو... •

"السيرة المهدية" للمصالحة الوطنية الأولى في السودان

تفاصيل مُذهلة عن المراسلات المتبادلة بين العدوين اللودين نميري والصادق • كيف بحث الصادق في لندن عن حسين الهندي لإستشارته في الذهاب إلى بورتسودان للقاء نميري وكيف اتصل الهندي به من هيثرو بحضور الأخضر الإبراهيمي وأبلغه أنه سيراه خلال ساعة لكنه لم يحضر إلى الفندق ثم اختفى أسبوعين • في مطار هيثرو وقبل المغادرة إلى بورتسودان عن طريق أثينا سجّل الصادق رسالة إلى المكتب السياسي والأنصار بحضور الوسيط فتح الرحمن البشير قال فيها إنه ذاهب ومُدرِك للمخاطر فإما اتفاق عادل وإما التعرض للغدر • إستغرق الاجتماع بين نميري والصادق من العاشرة ليلاً حتى الفجر وأبلغ الرئيس ضيفه وعدوه أنه سينام في غرفة مجاورة لغرفته وسيأكلان من الطعام نفسه تأكيداً للسلامة • روى نميري للصادق قصة حاكم ومحكوم وضامن للشخص المحكوم ثم أبلغه بإصدار عفو عام التزاماً بأداب الحرب وقوانينها • بعد لقاء بورتسودان مع نميري توجه الصادق إلى ليبيا لإطلاع القذافي • عندما قام السادات بـ "الإعتداء التأديبي" اتصل الصادق بفتح الرحمن البشير ليتمنى عليه إبلاغ نميري بأن يقف السودان على الحياد في هذه الأزمة ... وأثنى الشريف حسين الهندي على هذه المبادرة ثم توجه فجأة من وراء ظهر الصادق إلى طرابلس وشن من هناك حملة عنيفة على نميري والسادات وشكك في المصالحة ... وبعد ذلك أثنى الشريف الهندي في مقابلة مشتركة مع الصادق في إذاعة لندن على المصالحة قائلاً إنها سودانية لحماً ودماً ثم أعلن عز الدين علي عامر موافقة الشيوعيين • كان نميري يرى أن الشريف حسين الهندي كثير الطمع وقال له الصادق "على رغم السلبات كان مخلصاً لزمالتنا" وعند ذلك ردّ نميري قائلاً: أنت حر تتعامل مع من تشاء • قال نميري للصادق إن أحمد المهدي طلب منه - ورفض - تعيينه إماماً للأنصار وسأله الصادق أن يبيّن للأنصار قبر الإمام المهدي ويُسمح لأهله بدفنه في قبة المهدي وأن يتم تعيين ابنه ولي الدين في منصب مرموق ويُعاد الاعتبار إلى الأنصار الذين في الداخل وفي الخارج ... وكان رد نميري سؤال الصادق عن موقف الشرع من مسألة مكان دفن الإمام وقال إنه لم يزر قبر والده بعد دفنهما، كذلك اقترح تعيين بعض الأنصار العائدين في حرس الحدود لأن بعضهم طاعن في السن ومن شروط الالتحاق بالجيش توافر اللياقة البدنية • محمد نور سعد كان يرى احتلال مديرية دارفور لتفجير التناقضات وإسقاط النظام وحسين الهندي كان يرى أن تكون المعركة في الخرطوم واقتحام المواقع العسكرية بالسلاح الثقيل • قصة حوار بين الأمير محمد الفيصل والصادق المهدي في لندن ... وقصة اللقاء في هيلتون لندن بين الصادق ومأمون عوض أبو زيد • سأل مأمون أبو زيد الصادق إذا كان يريد إرسال رسالة إلى المعتقلات من نساء الأنصار وشكره الصادق على اللقطة ولم يرسل • موقف جبهة المعارضة بدأ يستعيد قوته بعدما سمحت ليبيا للمعارضين استخدام "إذاعة الوطن العربي" وأتاحت أثيوبيا للشريف حسين الهندي وعمر نور الدائم بث أحاديث من إذاعة صوت الإنجيل • عام 1972 اتفقت المعارضة السودانية مع الحكم في ليبيا على إسقاط نظام مايو وقيام وحدة اندماجية سودانية-ليبية وتطبيق الشريعة في البلدين • الصادق المهدي كان ضد اغتيال نميري "لأن الاغتيالات الفردية خربت السياسة المصرية ولأن نميري معه مؤسسة..." • في اللقاء الأول قال الصادق المهدي مخاطباً نميري: لم تكن نتق في شخصك لأنك لم تتحدث لغة الالتزام الخلقي والاهتداء الإسلامي ثم بدأنا نتق بعد الجديد الذي سمعناه ... وردّ نميري مخاطباً الصادق المهدي: أنتم في الخارج عزلتكم الغيبة ولو أنت مشيت الآن من دون حراسة لهجم عليك الناس هجوماً عدائياً • ... وعاد الصادق المهدي يقول لنميري: صيغة الاتحاد الاشتراكي لا تصلح لجميع السودانيين وليس صحيحاً أن الخير السوداني وُلد في 25 مايو 1969 فللسودان ثورات وانتفاضات وتحركات تاريخية لا يجوز إغفالها، كما أن الاتحاد الاشتراكي قتل الصحافة السودانية وصار سوطاً مسلطاً على المواطنين ولقد سقط في مصر وليبيا وقبل ذلك مات في العراق واليمن ... فلماذا التمسك به؟ • ... وردّ نميري على الصادق المهدي قائلاً: الاتحاد الاشتراكي تنظيم ناجح والأخذ برأيكم معناه إرضاء الأقلية ولا أستطيع أن أغضب الأكثرية لإرضاء أقلية • الصادق يقول لنميري وأعضاء اللجنة المركزية إن الاتحاد الاشتراكي تمّ تكوينه في ساعة انقسام وهو مثل ديوان حكومي أدّت النتائج فيه إلى قيام حكومة مضادة • ... ويُطالب بأن يشمل الولاء الثورة المهدية وانتفاضة الخريجين لا أن يقتصر على ثورة مايو • ... ويقترح مراجعة تسمية الاتحاد الاشتراكي من أجل فتح صفحة جديدة في مسيرة أهل السودان • نميري للصادق المهدي: أيدت السادات بعد سماع خطابه في القدس وتأكدت من أنه لم يُفرط في المطالب العربية • ... والقذافي للصادق المهدي عن موقف السودان: كيف تطمئنون لجعفر نميري. لقد تعاملنا معه كثيراً وكانت النتيجة أنه خذلنا • ظاهرة الأنصاري حسين شبيون وتحالفه مع الشريف الهندي • قصة الصراع على المعسكر الغربي بين المهدي والهندي وكيف اعتقل أفراد المعسكر حسين شبيون • سر الخطة التي دبرها الهندي للخروج من ورطة وتمثّلت في استدعاء ولي الدين المهدي من لندن • كتّب الصادق مذكرة شديدة اللهجة عن العنف والتآمر والشرور والاختفاقات والتدخل الأجنبي وتركها مع عبد الحميد صالح لكي يناقش على أساسها مع مأمون

والوسطاء • الصادق يقول لنميري إن تبني قضايا التمزق الداخلي في أثيوبيا هو مبرر لها للتدخل بالمثل في شؤون السودان، وإن ليبيا ساعدت بالمال والسلاح والتدريب، لكن مسؤولية ما حدث في الخرطوم "تقع على عاتقنا فقط حتى أننا رفضنا عرضاً من ليبيا باستخدام سلاحهم الجوي لمساعدتنا... ولا يمكن أن تتم بيننا وبينكم مصالحة ويستمر العداء بينكم وبين ليبيا" ... وكان رد نميري الترحيب بمصالحة ليبيا وتفويضه مفاتحة القذافي • النكسة التي أصابت المصالحة الوطنية بسبب زيارة السادات إلى القدس • تحليل الصادق المهدي لمبادرة السادات أمام نميري ثم بعد ذلك أمام القذافي: لن تجدي المجاملات نحو الإسرائيليين وسيعتبرون أن إلههم سخر لهم رئيس مصر لكي يستسلم لإرادتهم وبعد ذلك لن يتزحزحوا، والقول بأن 99 في المئة من أوراق الحل بيد أميركا فيه استخفاف بالدولة العظمى الأخرى وبالقدرة الذاتية العربية، ولا مصلحة للسودان في تأييد المبادرة لأن برامج تميمنا تتوقف على التضامن، والتأييد ورطة لنا في مواقف لا نعرف أصلها ولا منتهأها • الصادق المهدي حول مواقف الشريف حسين الهندي: يُعارض قرارات اشتراك فيها وهذا سلوك لا نحب التعامل به ولذا قررنا ألا نتعامل أو نتعاون معه • القذافي للصادق المهدي: سياد بري أزعجنا بالاشتراكية العلمية. ماله ومال هذه الاشتراكية. اتضح لي أن كارل ماركس سرق كل تحليله من القرامطة وهو مزج بين فكرهم ومقدمة ابن خلدون وعلى هذا الأساس فإن فكره مستعار من الفكر الإسلامي • رسالة من الصادق المهدي في أثيوبيا إلى عمر نور الدائم في السودان لكي ينقلها إلى نميري حول اللقاء مع القذافي • مشروع اتفاق اقترحه الصادق المهدي على الحكومتين السودانية والليبية عادت بموجبه العلاقات في فبراير 1978 • دراسة الكوميونات الأنصارية التي أعدها شريف التهامي ونقلها بهاء الدين إدريس إلى نميري لإقرارها • كيف يحلل الصادق المهدي تجربة الاتحاد الاشتراكي في كل من مصر وليبيا والسودان • الصادق يرى أن سدنة نظام نميري كانوا فئة تنطلق من عصبية ضيقة وتحتكر لنفسها الامتيازات وتُشكر أدوار الآخرين • عندما زار نميري يرافقه فتح الرحمن البشير الصادق المهدي في منزله وتم الاتفاق النهائي • نميري أبلغ الصادق المهدي أنه سيوكل إليه مهمة استشارية وأقنعه بأداء اليمين كعضو في المكتب السياسي لكي يزور ليبيا هذه المرة بصفة شبه رسمية • الصادق يقول إنه لا يوجد في الإسلام نظام حكم إسلامي وإنما تُوجد مبادئ سياسية إسلامية وأن باب الاجتهاد مفتوح لتطبيقها على أساس اجتهاد جديد ... ويقول كذلك إن الموقف الصحيح هو التطلع إلى تطبيق إسلامي وفق اجتهاد جديد يُشبع إيجابيات العلمانية • تتأزعان في السودان، تتأزع بين الولاء للوطن والولاء للقبيلة والطائفة وتتأزع بين انتماء السودان العربي وانتماؤه الأفريقي • الصادق يرى أن الحرية في بلاد ناقصة التكوين القومي كالسودان لا تؤدي إلى ممارسات حرة لأن الأفراد ينقسمون على ولايات قبلية وطائفية وإقليمية ... ويرى أيضاً أنه في البلاد الناقصة التكوين لا بد من قيام جهاز القهر المسلح بدور في المحافظة على الكيان السياسي الواحد ... ويرى أيضاً أنه لا بد من قبول المعادلة السياسية العسكرية وإيجاد وسائل مؤسسية لممارستها • النقاط التسع التي أرادها الصادق كمدخل لإنجاز المصالحة الوطنية ووافق عليها نميري وتعهد بتحقيقها لكن جماعة الاتحاد الاشتراكي والأمن عطّلوها • المفاجأة الساداتية في كامب ديفيد التي فاجأت نميري والسودانيين ومفاجأة نميري لمصلحة السادات والتي جعلت الصادق المهدي ينسحب • موقف الصادق المهدي من كامب ديفيد وتأييد نميري للسادات: - اتفاقية كامب ديفيد تفريط وليس دور السودان تأييد مصر ظالمة أو مظلومة - رفض اعتبار موقف السادات بأنه موقف كل مصر - رفض تأييد مصر في كل ما تفعل وفق نظرية الروابط الأثرية مع السودان • الصادق أطلع عمر الطيّب وفتح الرحمن البشير على مذكرة الاستقالة من المناصب الرسمية وقال لهما إنه يفعل ذلك لا لمشاركته وإنما لجهود دورهما المشكور في المصالحة....

فتح الرحمن البشير... وروايته اليتيمة عن المصالحة الوطنية

أعدنا البيان الختامي للمصالحة في منزلي في لندن بحضور أبو القاسم هاشم وعمر الطيّب وأرسلناه إلى الرئيس نميري مع عز الدين السيد • تنظيم الأخوان المسلمين هو الوحيد بين أطراف المعارضة الذي وافق على المصالحة وبادر مسؤولياته من دون تحفظات • المصالحة من وجهة نظري لا تكون حقيقية إلا إذا مارس الصادق والهندي العمل مع النظام مثل ممارسة الترابي وزملائه • ما كان للرئيس نميري وللأخوة زعماء المعارضة الدخول في المصالحة لولا أن الشعب السوداني يريد هذه المصالحة لأنها من أجل البلد • كنت واثقاً أن اللقاء بين الرئيس نميري والشريف حسين الهندي سيكون نهاية لكل الخلافات على عكس الحالة بين نميري والصادق • على رغم الخلاف بيني وبين الصادق المهدي أحياناً إلا أن الرجل استمر في نظري أحد المفكرين المتميزين • كنا في السودان نظن أنه لن تكون للسودان زعامات بعد رحيل علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي وإسماعيل الأزهري • الشريف حسين

الهندي قال أمام الصادق وعبد الحميد صالح إنه لو كان يعرف أن الوسيط هو فتح الرحمن البشير لكان له موقف آخر • عمر الطيّب بات المسؤول عن المصالحة بعد عودة الصادق إلى السودان وبفضل الثقة به من جميع الأطراف حال دون حدوث فتنة كبرى • أشهد بأن الأخ فؤاد مطر كان من صنّاع المصالحة الوطنية وهو أمر واضح للسودانيين الذين عرفوه ولمسوا ما فعله....

مطالبة الشريف حسين الهندي حول نميري والصادق والترابي... والمصالحة

تم الاتفاق بيني وبين الصادق أن أبقى في الخارج ويعود هو فقط إلى الخرطوم ومعه أحمد زين العابدين • كنا نستعجل أن يبدأ الصادق التفاوض مع النظام وكان هو يرى عدم الاستعجال •... ثم وجدنا أنه ليس من كرامة حركة المعارضة أن يطول الانتظار • عقد الصادق 7 اجتماعات منفردة مع الرئيس نميري لم نعلم ما الذي دار فيها ولذا بدأت تراودنا الشكوك • أرسلنا إلى الصادق عتاباً حول مسألة العفو فطلب من فتح الرحمن البشير أن يوقف ما سبق أن كتب له في هذا الشأن نيابة عن زملائه • في منزل فتح الرحمن البشير في لندن سألناه عن الشروط السبعة التي يقول الصادق إن نميري وافق عليها فنفي نفياً قاطعاً أي شروط • قال لنا فتح الرحمن البشير إنه بصور قانون العفو وبإطلاق سراح المعتقلين لا يبقى سوى أن يعود الجميع إلى السودان •... وقال له عثمان خالد: إذاً ليس هناك تفاوض وإنما هناك مباصرة • اتفقنا بعد اجتماع مع العقيد القذافي في طرابلس أن تتم مواجهة بين الصادق وفتح الرحمن البشير لكن هذه المواجهة لم تتم بناء لرغبة الصادق • سافر الصادق من لندن إلى بورتسودان للقاء نميري من دون أن يُخطر أحداً واكتفى بترك تسجيل أذاعه عبد الحميد صالح على أعضاء المكتب السياسي الموجودين في لندن الأمر الذي دعا هؤلاء إلى تسجيل لوم على الصادق • قبل وساطة فتح الرحمن البشير كانت هنالك وساطتان واحدة تحظى بتأييد غير مُعلن من الشيخ زايد والثانية تحظى بتأييد غير مُعلن أيضاً من الشيخ صباح الأحمد • إنخرط الصادق المهدي ومن معه في النظام ورافق ذلك إدعاء الترابي بحل الجبهة الوطنية وقصائد من الثناء المتبادل المُذاع بين النظام وهؤلاء الأخوان • تكلم الصادق المهدي عن عزله لشخصي ولأحمد زين العابدين وهو لم يجعلنا معارضين لكي يستطيع عزلنا وعزل غيرنا... فلقد سبقناه إلى تكوين هذه الجبهة وإلى إرساء قواعدها النضالية ولحق بنا هو بعد ست سنوات وأكرمناه • جعلنا الصادق رئيساً لجبهة المعارضة لأنه لا يستطيع أن يعمل في الحكم أو المعارضة إلا إذا كان رئيساً • هل من أخلاقيات العمل السياسي أن ينفرد شخص (أي الصادق المهدي) بالتفاوض نيابة عن شعب بأكمله ويخفي ذلك عن رفاقه زملاء النضال.